الدرس الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للمنظمات الدولية والإقليمية: تاريخ ظهور التنظيم الدولي

كيف بدا تشكيل التنظيم الدولي؟ وما هي الأسباب والظروف التي أدت إلى ظهور المنظمات الدولية؟

ظهرت المنظمات الدولية مع القرن التاسع عشر مع بداية تشكل فكرة الدول القومية التي بدأت تعرف التنظيم على مستوى السياسي خاصة والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وكانت الحاجة ملحة للتعاون مع الدول في إطار العلاقات الدولية وتبادل المصالح والتكامل والتنسيق في حالات الحرب والسلام، وبالتالي لابد من وجود تنظيم دولي تلجا الدول إليه يؤطر وينظم العلاقات بين الدول، لان العالم تغير لم يعد كما كان في القرون الوسطى وبداية الثورة الصناعية بحكم إن الدول كانت صغيرة ومتناحرة ومنغلقة، وبدائية الحياة الاجتماعية يسيطر فيها منطق الكنيسة والضيعة والسيد والقن.

وحالة الضعف والانقسام والتشتت داخل المجتمعات الأوربية منذ سقوط الإمبراطورية البيزنطية ،وعليه فان حالة الاتصال بين هذه الدويلات كانت محدودة جدا، ولكن كانت هناك حروب وتطاحن في المقابل الأخر للتوسع والسيطرة ، فخلقت نوع من الاتفاقيات والمعاهدات فيما بينها فمثلا علاقات الشرق الإسلامي والغرب المسيحي والحروب الصليبية والمعاهدات التي كانت بينهم خاصة مع صلاح الدين الأيوبي .

لكن تطور الحياة والجماعات ،وزيادة النمو السكاني المضطرد بشكل مضاعف ،ووجود نوع من الاستقرار والاستتباب الأمني ،وبداية معرفة التنظيم لهذه الجماعات خاصة من الناحية السياسية ، وبداية الاهتمام بالفكر والأدب والعلوم ،وتطور مختلف وسائل الحياة خاصة الاتصالات ،وانتظام هذه الجماعات في أشكال مختلفة من التنظيم السياسي.

أدى هذا التغير للجماعات بشكل أو بأخر إلى الاحتكاك فيما بينها وأحينا في شكل تعاون ومرات أخرى في الصراع من اجل التوسع ،ونلمس هذا في الحروب الشرسة التي كانت تحدث والغزو ويمكن إن نعبر عنه بأنه نضام الغابة القوي يأكل الضعيف فهذه الصفة هي السائدة المنضمة للعلاقات الدولية

لكن كان هناك نوع من التنظيم في بعض المواضيع مثلا الحرب هناك الهدنة، وتبادل الأسرى، والصلح والفدية وغيرها، وعرفت كذلك التحالفات والتعاون من اجل السيطرة وإضعاف الأطراف الأخرى المنافسة وهذا نوع من التنظيم في العلاقات الدولية يحل الخلافات ويعطي مجالا

للسلم والأمن واستمرار النوع البشري بدل الفناء،وبالتالي هنا لا يوجد تنظيم دولي يقوم بالعملية سوى فقط الدولة قبل القرن الرابع عشر ، رغم انه كانت اتفاقات ومعاهدات في العصور القديمة والحضارات السابقة .

كالحضارة الفرعونية وبلا مابين النهرين وغيرها أسست لقواعد القانون الدولي ، مثل معاهدة "رمسيس الثاني" مع" حاتوشيل " الثالث ملك الحيثيين عام 1278ق.م فهي أول معاهدة تعرفها البشرية حثت على السلام وأنهت الحرب التي كانت بينهما وإقرار مبدأ التعاون والمساعدة وكذالك الهند تمثلت في قوانيين "مانو "في القرن الثاني قبل الميلاد حثت على قواعد العمل الدبلوماسي أثناء الحرب كتحريم قتل الأسرى والجرحى وطالبي الرحمة والعزل ، وحضارة الصين من خلال الفيلسوف "كونفوشيوس " وحصانة الدبلوماسيين وقواعد الصلح ،والإغريق أيضا عرفوا بعض قواعد العمل الدبلوماسي والسفراء والمبعوثين وحماية الأجانب ومجلس حل النزاعات الذي تقوده اسبرطا بين المدن الإغريقية الذي ينعقد مرتين في السنة المسمى" الامفيكتيون " ،(مامون مصطفى ،1999 ص 2)،وعليه فان نشأة المنظمات كغيرها هي صورة من صور التنظيم الدولي وليست هي التنظيم .

وبدا التفكير في إنشاء منضمات دولية خاصة مع الوزير الفرنسي" سلي " بإنشاء تنظيم دولي يتسم بالثبات والاستمرارية في سنة 1603م بإنشاء تنظيم أوربي مسيحي .

كذلك معاهدة ويستفاليا Westphalie في سنة 1648م وهي التي نظمت العلاقات في تلك الفترة بين الدول والممالك الأوربية ومضمون المعاهدة يقضي بالاعتراف بسيادة الدولة على إقليمها وعدم الاعتراف بالسيادة المسيحية الدينية ، وإنهاء حالة الحروب بين الجماعات الدينية خاصة بين البروتستانت والكاثوليك وفكرة الحرية الدينية ، وبداية اعتماد السفارات الدائمة للدول ،والسبب في هذه المعاهدات هو بحث الدول والشعوب عن الأمن و الاستقرار لما كان يصيب المجتمعات من الكوارث الطبيعية والمجاعات والحروب ،وفتح الطريق أمام مستقبل يحكمه التضامن والتحالف وإيجاد تنظيمات تحقق الأمن والاستقرار .

كذلك لعب الدين دور محوري في إيجاد مثل هذه المعاهدات لأنه يدعو إلى التآخي والرحمة والتعاون والعدل والمساواة والتضامن ،وخاصة ما حث عليه الدين الإسلامي من قيم التكافل والتراحم والعدل والمساواة وعدم الاعتداء والجنوح للسلم بدل الحرب وحسن الجوار وحسن المعاملة والحكمة والدعوة بالتي هي أحسن والأمانة ولا فرق بين البشر لا لسبب عرقي أو لغوي أو جهوي فمن سننه الاختلاف والتنوع فقط في التقوى ،وضل الحال على حاله حتى القرن التاسع عشر مع الحرب النابليونية هيأت لوجود منظمات دولية عن طريق المؤتمرات حتى بداية الحرب العالمية الأولى ومنها

مؤتمر" فينا" للدول المنتصرة على" نابليون " بريطانيا روسيا بروسيا وجاءت لقاءات ومؤتمرا ت أخرى ،مؤتمر لهاي 1899م مؤتمر برلين 1878م وغيرها .

لكن هذه المؤتمرات لم تنجح في تحقيق السلام والأمن العالمي لكونها جاءت ظرفية تحل مشاكل أنية وجاءت نتيجة نزاعات وبعد نهاية هذه النزاعات والحروب فهي جهورية وعنصرية أحيانا تخص فقط المركزية الأوربية ظهرت منظمات إقليمية عضويتها أوروبية وأمريكية مثل مؤتمر" بنما " 1826م بالإضافة إلى المنظمات المتخصصة منظمات نشاطها فني وتقني كالتحكيم الدولي واللجان المنظمة للانهارالدولية وبعض اللجان الإدارية كالاتصالات والاتحاد البريد العالمي 1878م .إلى أن ظهرت منظمات دولية عالمية في القرن العشرين كعصبة الأمم والأمم المتحدة مع الحربين العالميتين وهو العصر الذي ازدهرت فيه المنظمات المختلفة الجهورية والمتخصصة الحكومية وغير الحكومية ويعود هذا لحالة الحروب بين الدول والحاجة لتثبيت السلام والسلم والأمن العالمي وفشل صيغ المؤتمرات والاتفاقيات والمعاهدات الدولية وتغير نمط الحياة العالمي من إنتاج صناعي وتكنولوجي والمواصلات والتجارة العالمية فالمنظمات هي من تجمع الدول وتقرب المسافات بينها لعقد المؤتمرات والاتفاقيات وإلزام الدول ولو أخلاقيا بها خاصة إذا ما تعلق بالمصالح العالمية كالبيئة مثلا.